

الأطفال كصانعي التغيير

الفصل

3

كاترين كلونس دي أندريا Katherine Clunis D' Andre

تعد مدرسة مشن هيل Mission Hill مدرسة عامة تقدمية في بوسطن Boston تديرها الدولة، ويعد صف كاترين دي أندريا صفًا يدمج روضة الأطفال وصف المرحلة الأولى (الذي يشتمل على متعلمي اللغة الإنكليزية) وطلاب ذوي الحاجات الخاصة، يأتي طلاب هذه المدرسة من خلفيات عرقية واقتصادية متنوعة، ويبقون في صفوفها مدة سنتين. تعد مدرسة مشن هيل Mission Hill جزءًا من شبكة تحالف المدارس الأساسية، وأحد المبادئ التأسيسية لشبكة هذه المدارس أن المعلمين يستطيعون -بل يتعين عليهم- أن يساعدوا الأطفال في أن يصبحوا متعلمين نشطين، وأعضاء في مجتمع ديمقراطي.

«إذا كان للطفل أن يحتفظ بإحساسه الفطري بالدهشة حيًا فإنه بحاجة إلى صحبة واحد من البالغين، على الأقل يمكن أن يشاركه هذا الإحساس، ويكتشف ثانية معه المتعة والإثارة وسر العالم الذي نعيش فيه».

.Rachel Carson, 1999

نبعت المشروعات البيئية الثلاثة التي وضعت في هذا الفصل من رغبتني في تعليم الأطفال أن لديهم صوتًا يُسمعونه للآخرين، لقد شجعت هذه الفكرة عن طريق سعبي للحصول على مدخل من الأطفال طوال اليوم، إضافة إلى ذلك قرأت للأطفال كتبًا عن أناس استخدموا أصواتهم ليحدثوا تغييرًا بطرق مهمة وشجاعة، وهؤلاء الناس من مجتمع مدرستنا Mission Hill School, 2012 وأناس من مختلف أنحاء العالم، وأطفال في عمرهم.

مساعدة الأطفال على إدراك أن لهم صوتاً

بدأت العمل بقراءة أشجار السلام التي غرستها فانغاري قصة حقيقية Wangari's Trees of Peace: A True Story from Africa كتبتها جانيت ووتر Jeanette Winter. كانت الكينية فانغاري ماثاي Wangari Maathai أول ناشطة بيئية تحصل على جائزة نوبل للسلام، لقد غيرت المساحة الخضراء في كينيا، حيث بدأت بغرس ستة أشجار في فناء منزلها، بعدها مضت لتمكن النساء الأخريات، فأسست حركة الحزام الأخضر. بعد أن سمع الأطفال هذه القصة فهم كل منهم أن استخدام صوته لا يكون بطريقة واحدة فقط، لقد أحدثت فانغاري تغييراً كبيراً في كينيا بغرسها ست بذور صغيرة، بدأت بقصة فانغاري لأن أفعالها أرسلت رسالة قوية عن الأهمية الحاسمة للقيام بالخطوة الأولى.

طرحت سؤالاً على الأطفال وقلت: «لو كنت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فلاي غرض ستستعمل صوته؟» أجاب أحدهم قائلاً: «سوف أضغ مطبات للسرعة، كي لا يقود الناس سياراتهم بسرعة»، وقال آخر: «سوف أجعل المدينة أكثر أمناً». قلت: «حسناً، بما أنك لست الرئيس وأن أعماركم هي (5، 6، 7)، لأي غرض ستستخدمون أصواتكم؟». توقف الطلاب وأخذوا يفكرون، لقد أخذوا سؤالاً على محمل الجد. في الأيام القليلة التالية أجرى الأطفال أحاديث طويلة، وكتبوا، ورسموا في دفاتر يومياتهم، وتأملوا أكثر، وأخيراً خرجوا بثلاثة مشروعات؛ أرادوا أولاً أن يثقفوا الناس عن التدوير وعن أهمية الأشجار، وأرادوا ثانياً أن يثقفوا الناس عن الحيوانات المعرضة للخطر.

اعتقدت أن هذه المشروعات مذهلة، ولكنها ممكنة الإنجاز بالنسبة إليهم، وتساءلت: «من أين أتاهم هذا الدافع؟ وما التجارب السابقة التي دفعتهم لكي يقرروا هذه المشروعات؟».

إكساب الأطفال خبرات خارج غرفة الصف

كانت الطبيعة والتدوير موضوعين مركزيين في حياتنا الصفية، وهذا أحد العوامل المؤثرة في الأطفال، خلال رحلة لي إلى الأرجنتين التقيت بالمربي البيئي آلي شوارتز Ale Swartz، وقال لي شيئاً صاغ تفكيري، قال: «إن الناس لا يحافظون على البيئة ما لم

يتعلموا ذلك». إن الطريقة التي تدرس بها تتطوي على أهمية كبرى، حين عدت إلى غرفة صفي فكرت ملياً بكل شيء يمكنني أن أفعله مع طلابي، لن أقول لهم أن يحافظوا على البيئة، ولكنني سأوفر لهم فرص الاكتشاف، والاستعلام، والحديث، والعمل.

منذ ذلك الحين بدأت أدخل الطبيعة في المنهاج، وأجعلها جزءاً لا يتجزأ منه، وكذلك خططت لتجارب الباحة المدرسية لتمكين الأطفال من تعلم بيئة الباحة هذه، وهي دراسة الأشياء الحية في فناء المدرسة، قام الطلاب بإبداء الملاحظات في الفناء الكبير لمدرستنا، وكان يضم أنواعاً متعددة من الأشجار، والعشب، والكثير من الحيوانات.

شاهد الأطفال الأفاعي الأمريكية غير السامة، والسناجب، وطيور أبي الحناء، وطيور النورس، والصقور، والنحل، والفراشات، وحيوانات أخرى، في فناء المدرسة كتب الطلاب في دفاتر يومياتهم، ورسموا الصور، وتأملوا بالأفكار، كتبت إمّا Emma تقول: «ماذا تأكل الحشرات؟ أعتقد أن الحشرات تأكل العشب. وما الطعام المفضل للأفعى؟»، وكتبت أشا Asha تقول: «أريد أن أعرف إن كانت السناجب والأرانب تأتي إلى مدرستنا، وماذا تأكل، في مرة من المرات قرأت كتاباً يقول أنها تأكل الورد». كما تساءل رافي Ravi عن إدراك الحيوانات قائلًا: «أريد أن أعرف إن كانت الحشرات تعرف كيف تبدو الحشرات الأخرى».

لقد كنا محظوظين في امتلاك باحة مدرسة مورقة لا تمتلكها المدارس جميعها، ففي الأرجنتين نجد أن باحة المدرسة مغطاة بالإسفلت، لكن المعلمين بنوا حدائق مرفوعة يعتني بها الأطفال، لقد لاحظ الأطفال الحياة الحيوانية في الحدائق ودرسوا الحمام أيضاً.

ربطت دراستنا بفناء المدرسة كلما استطعت فعل ذلك. لقد أردت أن يكتسب الطلاب خبرات مباشرة من خارج غرفة الصف، وأن يكونوا علماء أحياء ميدانيين، وأن يلاحظوا، وي طرحوا أسئلة عما كانت تفعله الحيوانات.

ونظرًا لوجود حب فضول عند الأطفال بمعرفة ما كان يحدث تحت الأرض، أنشأت حديقة يظهر فيها منظر الجذور، وهذه تسمح للأطفال أن يروا الجذور تنمو تحت التربة، عثر أحد طلابي على أفعى ماتت في باحة مدرستنا، مما أتاح للأطفال فرصة كي ينظروا إلى الأفعى عن كثب، سجلوا ما فكروا به، وناقشنا أفكارهم (انظر الشكل 3.1). دفنت الأفعى

في حوض سمك كي يستطيعوا رؤيتها وهي تتحلل، ويراقبوا كيف تتفاعل الحشرات المتغذية على الفتات مع جسم الأفعى.

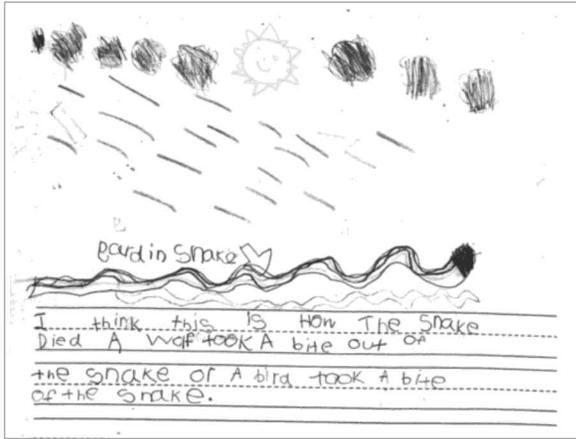
كلما كان الوقت الذي يقضيه الأطفال خارج غرفة الصف أطول كان لديهم أسئلة أكثر، وفي كل مرة نكون فيها خارج غرفة الصف أطلب إليهم أن يفكروا بنوعية تفكيرهم، لقد خططت للحصول على مستويات مختلفة من الانخراط في الأنشطة، فخلال زيارتهم الأولى للباحة أبدى الطلاب الملاحظات فقط. وفي المرة الثانية لاحظوا وكتبوا في دفاتر يومياتهم، كتب أحد الطلاب قائلاً: «لقد شاهدت فراشة، كانت تطير وتحوم حولنا، كنت جالساً حين بدأت قطعة من العشب تتحرك فجأة، لقد رأيت أفعى وكانت ساكنة، لقد رأيت قطعة صغيرة من الأفعى، لقد رأيت الأفعى تنزلق»، في المرة الثالثة طلبت إليهم أن يفكروا في أسئلتهم، وحين عدنا إلى الصف تشاركوا في أسئلتهم، وسجلتها في جدول بياني.

في البداية كانت أسئلة تلاميذ الروضة واقعية وتؤدي إلى أجوبة (نعم) أو (لا). سألت بيلى Belly قائلة: «هل النمل يتسلق الأشجار؟»، لقد وجدت بأنه حين أسجل الأسئلة وأناقشها في اللقاءات، فإنني أشجعهم على طرح مزيد من الأسئلة. سأل رافي Ravi قائلاً: «كيف تبدو بصمات أرجل طائر أبي الحناء؟»، لقد أصبح عملنا يشكل جزءاً كبيراً من حديث الصف. حين كان الأطفال يطرحون سؤالاً كنت أرد قائلة: «كيف نستطيع أن نكتشف ما الذي تريد أن نتعلمه؟»، وكان الأطفال يجيبون: «علينا أن نذهب إلى خارج غرفة الصف». كانت الأسئلة تقود إلى مزيد من الأسئلة، فكلما كتب الأطفال وفكروا أكثر أرادوا إجابات على أسئلتهم أكثر، أصبحت الأسئلة أكثر تعقيداً. سأل أحدهم: «هل الدودة الموجودة في مزيج أوراق الشجر الميتة تفضل الموز أكثر من التفاح؟».

كوّن الأطفال صلات قوية مع العالم الطبيعي بوجودهم خارج غرفة الصف، لقد حصلت على تقارير من معلمين آخرين تقول إن طلابي القدامى لديهم منهجية تجاه الطبيعة مختلفة عن منهجية الأطفال الآخرين، لقد لاحظوا وأخذوا وقتهم، ولم يحاولوا أن يلمسوا الحيوانات، أو يسببوا لها الضرر، ما تعلمته هو أن الطلاب يكتسبون الاحترام للحياة الطبيعية في باحة المدرسة حين يكون لهم تجارب مع الطبيعة.

في رحلة قمت بها في الأونة الأخيرة مع صفيين آخرين من صفوف الصف الأول في الحضانة، لم يتناول الطلاب في صفي الغداء حين أعطيت لهم التعليمات أن يفعلوا ذلك. لقد بقوا رابضين حول شجيرة وهم يحدقون بهدوء فيها. سألت قائلة: «لماذا لا أحد يتناول غداءه؟» نظر طالب إليّ وقال: «هذا صرار الليل». إذًا هذا الصرار المتناهي في الصغر والذي جثم في شجيرة أسر انتباه طلابي، لدرجة أن الطعام لم يعد أولوية بالنسبة إليهم. لقد تمثل أحد الحلول الوسط في أن في وسعهم أن يتناولوا غداءهم ويراقبوا الصرار وهم يأكلون.

(الشكل 3.1): وجد أطفال الصف أفعى ميتة في فناء المدرسة. أحد الأطفال قال: «أعتقد أن الأفعى ماتت بهذه الطريقة، هناك ذئب اقتطع قطعة من الأفعى، وأن طائرًا أخذ قطعة من الأفعى».



في مناسبة أخرى كان أحدهم يقطف التفاح البري الموجود في باحة المدرسة، وتألّمت حين علمت أن الذين قاموا بهذا العمل هم طلابي، اتضح أنهم كانوا يدخلون التفاح في لعبهم المثير في باحة المدرسة، حيث كانوا يزرعونها كي تنمو المزيد من الأشجار، مثلما كانوا يأملون بأكملها أيضًا، لم أنزعج، بل نظرت إلى الأمر من منظور الأطفال، لقد كانوا يستثمرون التفاح، وفي نهاية المطاف سررت بمراقبتهم النشطة التغيرات التي تطرأ على الشجرة، استنتجت أيضًا بأنهم لم يستوعبوا مفهوم تفاحة ناضجة؛ أي مفهوم النضج، هنا سألتهم قائلة: «هل يعرف أحد منكم كيف تبدو التفاحة حين تكون جاهزة للأكل؟»، بعدها قرأنا كتبًا

عن التفاح، وعملت على تنظيم رحلات قطف التفاح، وذلك بهدف زيادة فهم الأطفال لكيفية نمو الشجرة من زهرة إلى فاكهة، وطريقة معرفتنا بوقت جاهزية التفاحة للأكل.

تعلم الأطفال قيمة المحادثة عن طريق الأعمال التي قاموا بها. لقد علمتهم الملاحظة في المدرسة أن باحة المدرسة مهمة، هنا كان الأطفال يتعلمون العلاقات المستندة إلى بعضها بعضًا داخل الأنظمة البيئية، لقد لاحظوا، واستطاعوا أن يصفوا ما تحتاجه الحيوانات لتستمر في البقاء، ومن ذلك تقليل أثر الفعل البشري على الأرض والهواء والماء والأشياء الحية. إذًا كانت هذه معايير العلوم المناسبة في رياض الأطفال (the Next Generation Science Standards, NGSS Lead States, 2013) للأجيال القادمة (NGSS 2013)، وأعتقد أن هذه التجارب السابقة في باحة المدرسة هي التي قادتهم -جزئيًا- إلى خياراتهم بشأن المشروعات.

فسح المجال لأفكار الطلاب بشأن المشروعات

كان لدينا ثلاثة مشروعات كبيرة، لقد أراد الأطفال أن يتقفوا الناس بأهمية الأشجار والتدوير والحيوانات المعرضة للخطر، وكانت خطتي الأصلية تقسيم الصف إلى ثلاث مجموعات، فينتقي كل طالب مشروعًا واحدًا، لكن هذه الخطة لم تنجح، لأن الأطفال جميعهم أرادوا العمل في المشروعات كلها، ولم تفلح أي طريقة بإقناعهم بعمل العكس، لقد خلقوا مشروعات في عقولهم أيضًا. هنا فعلت الشيء الوحيد الذي كان بوسعي أن أفعله، لقد تماشيت مع فكرتهم، وإذا أردت أن تكون ديموقراطيًا حقًا فكن مرناً بشأن الاتجاه الذي يأخذك الطلاب إليه، كان علي أن أغير تفكيري، وأثق بأن قرارهم سيعمق فهمهم، ويشجعهم على التعلم أكثر. إذًا علي أن أعيد التفكير في طريقة العمل على المشروعات، لكي يشرعوا في المشاريع بنجاح.

لقد أردت من الأطفال أن يتعلموا عن كل موضوع، ومن ثم أن ينظموا وينقلوا ما تعلموه. قال أحد الطلاب: «يجب أن نقول للناس أن يخبروا مزيدًا من الناس»، وأصبح هذا شعارًا لنا.

غرس الأشجار

قرر الأطفال أن يركزوا أولاً على الأشجار، فلربما ألهمتهم قصة فانغاري، لقد اخترت هذا الكتاب بحكم معرفتي بحب الأطفال للطبيعة، سألت الطلاب عما يعرفونه عن الأشجار، فبينت إجاباتهم لي بأنهم يعرفون أن الأشجار مهمة، إلا أنهم لا يعرفون السبب في ذلك، إضافة إلى أن بعض معطياتهم كانت غير دقيقة، قال أحد الطلاب: «إذا قطعنا شجرة سنموت جميعاً». لقد أبرزت هذه المناقشات لي أن المفاهيم غير الصحيحة عند الطلاب أعطتهم الأسباب للشروع في البحث والتشارك في الأفكار. قرأت قصصاً، وجلب الأطفال كتباً ومقالات عن الأشجار، منها: مكان صغير واحد في شجرة One Small Place in a Tree Brenner, 2004، والذي كان مفيداً على نحو خاص ومن الشجرة إلى الورق From Tree to Paper للمؤلف Pam Marshall، وشجرة الحياة Tree of Life لروشيلي شتراوس Rochelle Strauss، والأشجار والأوراق ولحاء الشجر Trees, Leaves and Bark لديان بيرنز Dian Burns، والشجرة نبتة A Tree is a Plant لكلايد روبرت بولا Clyde Robert Bulla، وقولي لي أيتها الشجرة: كل ما يتعلق بالأشجار للأطفال الصغار Tell Me, Tree: All About Trees for Kids Gibbons 2002، قرأ الأطفال أيضاً كتب قراءة مبسطة عن الأشجار مثل: الأشجار Trees لماجي بيرتون Magie Burton وكاثي فرنش Cathy French وتامي جونز Tamy Jones، والبدرة The Seed لكريستين يونغ Christine Young.

لقد جعلت التجارب المباشرة الأطفال خبراء في الأشجار، فإضافة إلى رحلاتنا إلى البساتين زار أطفال الصف منطقة زرع الأشجار لأغراض علمية، ولاحظوا الأنماط المختلفة لأشعار القيقب، رسم الأطفال مخططات، وكتبوا في دفاتر يومياتهم، كما تحدثوا عن أهمية غرس أشجار جديدة حين يتم قطع الأشجار، وأخيراً نظم الأطفال فعالية لغرس الأشجار، دعوا إليها طلاب المدرسة جميعهم، وأعدوا نشرات إعلامية عن الفعالية، وأعلنوا عنها في اجتماع شامل للطلاب. في أثناء هذه الفعالية قام الأطفال بغرس اثنتي عشرة شجرة في باحة مدرستنا، وقاموا أيضاً بتقييف الطلاب الآخرين عن أهمية الأشجار، وقال أحد الطلاب: «الأشجار بيوت للحيوانات»، وبمساعدة كبيرة من الأصدقاء في محطة (PBS) جهز الطلاب حلقة في برنامج تلفزيوني محلي نظمته المحطة عن أهمية غرس الأشجار.

المزيد من التدوير

برز موضوع تدوير الورق كجزء من الدراسة، وهذا ما وفر انتقالاً مثاليًا إلى مشروع التدوير، أعارنا قيم المكتبة في مدرستنا كتابًا بعنوان تتبع القمامة والأشياء ضئيلة الأهمية والمطروحات وعلم حركة المحيط *Tracking Trash: Flotsam, Jetsam, and the Science of Ocean Motion* لمؤلفه غرفن بيرنز Griffin Burns، ساعد هذا الكتاب الأطفال على فهم أن الأشياء لا تختفي حالما تدخل حاوية القمامة، بدأت عيون الأطفال تتفتح على القمامة التي كانت حولهم. لقد لاحظوا قوارير بلاستيكية على جانب الطريق، وأكياسًا بلاستيكية عالقة على أغصان الأشجار في باحة مدرستنا.

تحفّز الأطفال للعمل، وقاموا برحلات إلى حديقة المدرسة لجمع القمامة، ولكنهم أرادوا فعل المزيد، كانت مدارس بوسطن العامة تعمل على تدوير الورق فقط، إضافة إلى صواني الغداء. لم يكتف أطفال الصف بهذا، فقد أرادوا من المدرسة بكاملها أن تدور كل شيء دورناه في غرفة صفنا، مثل الزجاج، والبلاستيك، والورق والعلب المعدنية، قدم الفريق الأخضر (وهو جزء من قسم الحماية البيئية في ماساتشوستس) الحاويات الضرورية، وأطلقنا مشروع تدوير شامل ضم كل المدرسة.

هذا المشروع مشروع ضخم، إلا أنه واجه عقبتين: تمثلت الأولى في أن عقد القيمين على العمل لم يشمل إزالة المواد المدوّرة؛ وردًا على ذلك استطاع الطلاب بأنفسهم تنظيم المواد المدوّرة وجمعها، أما العقبة الثانية فلم يجمع برنامج التدوير في المدينة ما دورته مدرستنا، انتهى بي الأمر بأن أجر حقائق من المواد المدوّرة وأتي بها إلى البيت، وقام بعض الآباء بفعل الشيء نفسه.

أصبحت الكثير من العائلات منخرطة في هذا المشروع، لأن الأطفال كانوا يتحدثون بانفعال عن هذا المشروع في البيت، وبدأت العائلات التي لم يسبق لها ممارسة التدوير تقوم بهذه العملية.

عمل الأطفال بجد في تثقيف مجتمع المدرسة حول أي من الأشياء يصلح تدويرها وأي منها لا يصلح. وحين كانوا يجدون قمامة في حاويات التدوير يطلون صناديق التدوير بألوان

زاهية، ويستخدمون تجمعات المدرسة، بهدف شرح أن الصناديق الزرقاء والصناديق التي كانت مطلية بألوان زاهية صناديق مخصصة للتدوير، لقد أثمر عملهم، فقد أصبح الطلاب الآخرون أكثر وعياً لإدراك أي الأشياء يجب تدويرها. قرر الصف أن يبيع أكياس البقالة التي يمكن استعمالها ثانية، وأن يتقف المجتمع بضرورة أخذ الأكياس التي يمكن استعمالها ثانية معهم إلى مخازن البيع عند الذهاب إلى التسوق. رسمنا أيضاً شعارنا (قل للناس أن يخبروا مزيداً من الناس) على الواجهة، وعملنا على بيع الأكياس بسعر يستطيع كل شخص أن يتحملة.

كان طلاب صفي يتخلصون من المواد العضوية حين يطبخون، وبذلك شكلت إضافة إلى صندوق أوراق الشجر الميتة لصفنا، كما كان طلاب من صفوف أخرى يستعملون هذا الصندوق، ونتيجة لذلك تفيض محتويات الصندوق -غالباً- وتفوح منه الرائحة.

وافق مدير برنامج التدوير في بوسطن على المساعدة في تقديم الدعم الحكومي للمشروع، كتبت إحدى الطالبات في دفتر يومياتها قائلة: «ضع قشور الموز في صندوق الأوراق الميتة، فهذا الصندوق يعني تدوير الطعام»، تنقل الطلاب من صف إلى صف وهم يشرحون قيمة المشروع، ويتكلمون عن ذلك بعاطفة كبيرة، لدرجة أن مشاعرهم أصابت الآخرين بالعدوى.

تعد الموسيقى طريقة مميزة لتقوية الفهم، في السنوات اللاحقة وحين كانت صفوفي تدرس التدوير، أدخلت الموسيقى في هذه الأنشطة، تعلمنا الكلمات الثلاث التي تبدأ بالحرف R والتي هي جزء من أغنية جاك جونسون Jack Johnson، حيث وضعنا رسماً بيانياً للأغنية بالصور والكلمات (الكلمات متوفرة على شبكة الانترنت). أضفنا كل ما يدعم ذلك من أثاث وملابس لمساعدة الأطفال على الفهم، فزادت هذه الأغنية من استيعاب متعلمي اللغة الإنكليزية، وساهمت في إحساس الأطفال بالانتماء إلى المجتمع، كما مثل الصف الأغنية أمام المدرسة بأكملها، بعد تقديم كل ما يلزم من أثاث ولباس.

معرفة سلاحف ماساتشوستس المعرضة للخطر

بدأ الأطفال -معتمدين على أنفسهم- بما يمكنهم فعله لمساعدة الحيوانات المعرضة للخطر، وهؤلاء الأطفال هم من أعمار الخامسة والسادسة والسابعة، لم يكن هدفي من

هذه الدراسة أن يشعر الأطفال بالمسؤولية تجاه إنقاذ الحيوانات أو العالم الطبيعي، وإنما كنت أريدهم أن يفهموا الترابط المتبادل للحياة، ويدركوا أن الأفعال مرتبطة بالنتائج. لقد أردتهم أن يروا كيف أن هذا المبدأ ينطبق مباشرة على العالم الذي حولهم.

كنت قد قرأت كتاب ديفد سوبل David Sobel ما وراء التخوف من البيئة: استعادة القلب في تعليم الطبيعة Beyond Ecophobia: Reclaiming the Heart in Natural Education والذي يشدد على أهمية إبقاء تدريس الطبيعة محليّ الطابع، يبين سوبل Sobel أن الأطفال يكتسبون أقصى المعرفة من دراسة المناطق الطبيعية في بيئتهم الخاصة بهم Sobel & Orion Society, 1996. في هذا المشروع تولّيت القيادة بطريقة مختلفة، قلت للأطفال بأنني سوف أرسل قسم المسامك والحياة البرية الحكومي، للحصول على معطيات عن الحياة المعرضة للخطر في ماساتشوستس، فأرسل لي هذا القسم أفضل هدية تلقيتها على الإطلاق: فيلم فيديو، وملصقات، وكتبًا عن السلاحف.

حين بدأنا العمل انجذب الأطفال إلى الملصق الذي يبين سلاحف ماساتشوستس وفيلم الفيديو بعنوان (تعريف بسلاحف ماساتشوستس المعرضة للخطر)، شاهد الصف فيلم الفيديو هذا مرتين، مما ساعدهم على فهم المخاطر التي تواجهها سلاحف المياه العذبة، نتيجة فقدانها بيئتها الأصلية وحركة المرور وجزازات العشب.

لم يصبح عملنا مهمة لإنقاذ السلاحف، بل كان الهدف تثقيف أنفسنا والآخرين، زار الصف مواقع تقديم المساعدة للسلاحف، اهتم الأطفال على نحو خاص ببرنامج Northern Red-Bellied Cooter Headstart الذي يجمع ما يفقس من فراخ السلاحف، ويحتجزها مدة سنة ويراقب نموها، ثم يطلقها في فصل الربيع وهي بحجم أكبر من الحجم العادي، ومن ثم يكون لديها فرصة أكبر للنمو بقوة. زرنا أيضًا حوض السمك في نيو إنجلاند New England، وكذلك حديقة الحيوان في فرانكلين بارك Franklin Park، كي نحصل على أكبر قدر ممكن من التجارب. كتب الأطفال ما تعلموه، ووضعوا مسودات عديدة لرسومات السلاحف.

استخدمت العملية النقدية لرون بيرغر Ron Berger, 2003 لمساعدة الأطفال في تعلم مساعدة الآخرين في عملهم، ولأن الأطفال كانوا يكتبون مسوداتهم ويعيدون كتابتها

ويفكرون بجمهورهم، فقد أصبحوا كُتّابًا أفضل. لقد أظهروا عاطفة تجاه الأشياء التي كتبوا عنها، وكتبوا لتحقيق هدف، وقد منحوا السلطة في جعل أفكارهم واضحة ومنظمة.

في أواخر الربيع دعا الطلاب مجتمع المدرسة لحضور عرض عن سلاحف ماساتشوستس، اختار كل طفل سلحفاة، وحضّر قطعة من الكتابة ورسمًا لها. حضرت عائلات الأطفال، وطلاب من مختلف الصفوف. لم يكن بعض الطلاب الزائرين على علم بوجود سلاحف في ماساتشوستس.

المتوقع من طلاب مدرسة مشن هيل Missio Hill أن يتشاركوا ويعرضوا عملهم، لقد شجعت المشاركة في هذه المشروعات الأطفال على استعمال أصواتهم بطرق مختلفة، وبناء مهارات التحدث للجمهور، لقد كانوا (يخبرون الناس أن يخبروا مزيدًا من الناس)، ويقومون بذلك على أرض الواقع، مع فهم حقيقي لكل موضوع، وإحدى النتائج غير المتوقعة بالنسبة إلينا أن الأطفال ذوي الحاجات الخاصة ومتعلمي اللغة الإنكليزية وسّعوا قدراتهم في مجال الفهم والتكلم، فإحدى الطالبات التي كانت خجولة في بداية العام وغير قادرة على التعبير أخذت تشارك في كتابتها وأفكارها بثقة أكبر؛ فقد رسمت وكتبت للعرض الذي قدمته قائلة: «الحيوانات تحتاج إلى أشجار».

أصواتهم جديرة بالسمع

في أحد الأيام، وفي أثناء لقاء في الصف سألت الأطفال عن شعورهم تجاه المشروعات، وقبل أن ينطقوا بكلمة ابتسموا، لقد كانوا جميعهم تواقين إلى التحدث، وسعداء بما أنجزوه. مع ذلك قال بعض الأطفال بأننا نحتاج إلى أن نخبر مزيدًا من الناس.

هذا التعليق جعلني أتساءل: «ما المزيد الذي اعتقد الأطفال أنهم بحاجة إلى إنجازه؟ وما الذي بمقدورهم أن يفعلوه في الخطوة التالية؟»، تذكرت تعليق أبوين لطفل في صفي حين قالوا بأن بعض أقاربهم لهم طفل في مدرسة أخرى، وقد عبّر هؤلاء عن أمنيتهم أن يكون لدى أطفالهم برامج كبرنامجنا، هذا جعلني أفكر في نقل ما تعلمناه في أثناء مسيرتنا، سألت الأطفال إن كانوا مهتمين بزيارة مدارس أخرى أم لا، وإن كان معهم عروض يقدمونها

في زياراتهم، كان لديهم أسئلة كثيرة مثل: إلى أين سيذهبون؟ وأي الناس يخبرون؟ هل يمتلكون الشجاعة بما فيه الكفاية؟

لقد قرروا القيام بذلك، وكان عليّ أن أعمل من وراء الكواليس، فقد كانوا سيقررون لأنفسهم ما الأهم تعليمه للآخرين. في الأسابيع التالية كتبوا ورسوموا الصور، وتدربوا على عروضهم.

تلقيت منحة لأدفع ثمن القمصان المرسوم عليها شعارنا «قل للناس أن يخبروا المزيد من الناس»، كانت زيارتنا الأولى لصف يعنى بعلم الأحياء في مدرسة ثانوية، قبل الزيارة تحدثت إلى الأطفال عن شعورهم تجاه هذا الأمر، فاعترف كل واحد منهم -تقريباً- بأنه يشعر بالعصبية، قالت آفا Ava: «أشعر بقليل من الخجل»، وأعترف بأنني شعرت بقليل من الخجل أيضاً، لقد ساعدنا التحدث حول هذا الأمر في مهمتنا. فبالرغم من عصبيتهم أرادوا أن يذهبوا، لأنهم يعرفون أن لديهم شيئاً مهماً يقولونه.

كان عند أول طالب يتكلم إعاقه لغوية حيث حدّق بانشدهاء في طلاب المدرسة الثانوية، وبعد دقيقة من الصمت تلى ما كتبه قائلاً: «الأشجار مهمة»، أخذ الوقت اللازم للكلام وظهرت ابتسامة على وجهه. لقد بدا الأمر وكأنه كان يقول Ta - dah. وبعد أن تكلم تبعه الآخرون، تحدث بعض الأطفال بطريقة هادئة جداً، لدرجة أن الأطفال الذين كانوا خلفهم بالكاد كانوا يسمعونهم، وتحدث أحد الأطفال بسرعة كبيرة كانت تعكس سرعة دقات قلبه.

حين غادر الأطفال غرفة الصف التي زاروها بدوا وكأنهم أصبحوا أكثر طولاً، وبدت ابتسامتهم أكثر إشراقاً، وحين عادوا إلى صفنا أخذوا يقهقهون حتى وقعوا على الأرض، سألتهم عن شعورهم، فقال أحد الطلاب: «اعتقدت أنني ربما أستطيع أن أفعلها، لم أكن متأكدًا من ذلك»، وقال طالب آخر: «أنا فخور بنفسي»، وقال طالب ثالث: «لقد شعرت بالعصبية»، سألتهم قائلة: «والآن كيف تشعرين؟»، قالت طالبة: «أستطيع القيام بذلك». لقد كان اعتزازهم واضحاً منذ ذلك اليوم، وأخذوا يتحركون وكأنهم قادرين على فعل أي شيء، ويمكنكم أن تتخيلوا كيف جعل هذا الوضع الجديد عملية التنظيف أكثر صعوبة، فقد قدموا عرضاً أمام طلاب مدرسة ثانوية، وأنا هنا أتوقع منهم القيام بأعمال النظافة.

لقد ساعدهم فيديو العرض على أن يحسنوا أداءهم، وذلك بالوقوف منتصبين، وعدم اللعب بأوراقهم، والتحدث بصوت عالٍ، وحين زاروا الصفوف بعد ذلك تحدثوا بصوت أعلى، وأبرزوا أصواتهم، وبدوا أكثر ثقة.

سنحت لنا فرصة لتقديم عرض أمام محافظ بوسطن عند إطلاق مبادرة تدوير، لقد كنت فخورة بعروضهم السلسة، كما كان الأمر مثيراً بالنسبة إليّ، لأنه حين أراهم المحافظ صناديق التدوير الجديدة وأخبرهم بأنه لم يعد هناك حاجة لفصل الأشياء، صفق له طلابي بأعلى درجات التصفيق، لقد كان هؤلاء من يدورون في مدرستنا، ولذلك علموا بأن الصناديق الجديدة والسياسة الجديدة تعني عملاً أقل بالنسبة إليهم.

لقد كانت نهاية ممتازة للسنة الدراسية، فقد رأى الأطفال أنفسهم صانعي التغيير، لقد أخذوا الوقت الكافي ليتعلموا القضايا التي تهمهم، وتحذوا أنفسهم بشجاعة، وتشاركوا بالأفكار، في ذلك الصيف تساءلت فيما إذا كان العمل الذي قاموا به سيصبح جزءاً من حياتهم، وفي السنة التالية أخبرتني مدرستهم الجديدة عن روح القيادة وتأكيد الذات لديهم، لقد تأثرت حين سمعت بأنهم يقفون على أقدامهم.

لقد عززت تجربة هذه السنة اعتقادي بأن خلق متحدثين يعتنون بالعالم الطبيعي حولهم ويتخذون إجراءً تجاهه أمر ممكن، وثمة صيغة بسيطة تقول: «قدّم للأطفال تجارب خارج غرفة الصف، خاصة في المناطق الأقرب إليهم، وساعدهم في فهم أن لديهم صوتاً يسمعون، وقدم لهم الفرص ليتعلموا أن صوتهم جدير بالسماع».

تعليقات المحررين

لم يتعلم الأطفال في صف كاترين شيئاً جديداً فحسب، بل إنهم مضوا ليعلموه للآخرين، لقد قرروا ما هي الأفكار المهمة للتشارك بها، وقدرت طريقة تقديم هذه الأفكار، فبعد تقديم عروضهم تحدثوا مع أقرانهم في الصف، كي يتأملوا التجربة التي حصلوا عليها، وفعلهم لكل ذلك عزز فهمهم للمادة.

في أثناء هذه العملية نما الأطفال كأفراد؛ فقد اكتسبوا إحساسًا جديدًا بأنفسهم كمتعلمين قادرين على إجراء بحوث في الموضوعات التي اهتموا بها، والتشارك في ما تعلموه، وأصبح لهم (صوت يُسمعونه) ، وكما عبرت عن ذلك كاترين فقد أصبحت «قامات الأطفال أطول» في تحديهم لأنفسهم، لقد قاموا بشيء لم يكونوا يعرفون بأنهم قادرين على فعله. لم يتخذ الأطفال قرارات كان لها أثر داخل صفهم فحسب، بل إن أعمالهم كان لها أثر في مجتمع أكبر.

لقد أسهمت إنجازاتهم -بلا شك- في إحساسهم بالانتماء إلى المدرسة، وأن المدرسة مدرستهم، وهذا أمر لا يشعر به -غالبًا- أطفال الملونين وأطفال العائلات متدنية الدخل وأطفال المهاجرين.